المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية – جامعـة سيدي بلـعباس
ISNN : 2170-0060 EISSN : 2602-523X
المجلـد 14 -- العدد 01 -- جويلية 2022 ص 81 - 101

# الطريقة التجانية "النشأة والخصوصية السوسيو أنثروبولوجية"

# Tijania method "genesis and socio-anthropological specificity"


| أمينة تجاني – أستاذة محاضرة<br>Amina-tedjani@univ-eloued.dz | اللسانيات واللغة<br>العربية | كلية الآداب واللغات جامعة الوادي/<br>الجزائر |
|---|---|---|


DOI :

**الإرسال**: 2022/03/24 **القبول**: 2022/05/06 **النشر**: 2022/07/01

**ملخص:**

نحاول في هذه الورقة البحثيّة تسليط الضّوء على الطّرق الصّوفيّة بالجزائر وبالأخصّ الطّريقة التّجّانيّة لما لها من انتشار واسع داخل الجزائر وخارجها، ولما لعبته من أدوار تربويّة ودينيّة واجتماعيّة وسياسيّة على الصّعيدين؛ الوطني والعالمي منذ تأسيسها إلى اليوم جعلها تحتلّ أهمّيّة بالغة في حياة الأفراد والجماعات.

فقد ساهمت الطّريقة التّجّانيّة على الصّعيد السّياسي في المقاومة الوطنيّة ضدّ المستعمر الفرنسي، وأكبر مثال على ذلك الدّور الذي لعبه الشّيخ أحمد عمّار التّجّاني في ثورة أولاد سيدي الشّيخ، والشّيخ أحمد التّجّاني التّماسيني في الثّورة التّحريريّة، ناهيك عن دور الشّيخ الحاج عمر الفوتي التّجّاني الذي أسّس دولة إسلاميّة في غرب إفريقيا وحارب الاستعمار الفرنسي والوثنيّة على حدّ سواء.

وأمّا على الصّعيد الاجتماعي فقد ساهمت في تعزيز النّسيج الاجتماعي وإرساء ثقافة المحبّة والتّسامح والتّعاون، وقيم التّفاهم والتّعايش وغيرها بين أفراد المجتمع، وعملت على إزالة التّفاوت الطّبقي والاجتماعي والاختلاف الجغرافي واللغوي والعرقي واللوني والثّقافي، فكانت نقطة التقاء للجميع دون استثناء. وبذلك وثّقت الصّلات بين الشّعوب، وعزّزت الصّرح المغاربي، ووطّدت امتداداته وعمقه الإفريقي والعالمي، واستطاعت بمنهجها الصّوفي أن تذيب كلّ هذه الفوارق، وتوحّد الأفكار والاتّجاهات.

وتكمن أهمّيّة هذا البحث في الكشف عن حقيقة الطّريقة التّجّانيّة ذات الصّيت الواسع؛ ومصدر مرجعيّتها، وسرّ خصوصيّتها السوسيو أنثروبولوجية وأدوارها الفاعلة التي جعلتها تتميّز عن غيرها من الطّرق الصّوفيّة وتحتل الصّدارة اليوم.

**الكلمات المفتاحية:** التّصوّف؛ الطّرق الصّوفيّة؛ نشأة الطّريقة التّجّانيّة؛ الأصول المرجعيّة للطّريقة التّجّانيّة؛ الخصوصيّة السّوسيو أنثروبولوجيّة للطّريقة التّجّانيّة.

## Abstract:

In this research paper we try to shed light on the Sufi orders in Algeria, especially the Tijani method, because of its wide spread inside and outside Algeria and for the educational, religious, social roles it played at the national and

international levels since its establishment until today. It contributed to strengthening the social fabric and establishing a culture of love, tolerance, cooperation and values of understanding and coexistence among society, and worked to eliminate class, social disparities and geographical, linguistic, racial and color differences, as it was a meeting point for all. we will focus in this research on the genesis of the Tijani method, its source of reference, and the secret of its socio-anthropological specificity.

**Keywords**: Sufism, Sufi orders, the genesis of the Tijani method, reference assets through the Tijani method, the socio-anthropological specificity

**مقدّمة:**

عرف التّصوّف حركيّة نشطة في المغرب الإسلامي، حيث انتشرت الطّرق الصّوفيّة والزّوايا في كلّ ربوعه، وكثر عدد الأولياء والصّالحين في كلّ أنحائه حتى قيل: "إنّ أرض المغرب تنبت الصّالحين كما تنبت الكلأ"[i]. وقد كان لهذه الطّرق دور كبير في الحفاظ على تماسك المجتمعات ونشر الأمن والاستقرار فيها من خلال نشر العدل ومحاربة الظّلم والكفر والاستبداد. والجزائر كغيرها من بلدان المغرب الإسلامي عرفت انتشارا واسعا للطّرق الصّوفيّة فيها، حيث لعبت هذه الأخيرة أدوارا اجتماعيّة وسياسيّة هامّة كان لها الأثر الإيجابي والفعّال في المجتمع عبر سيرورتها التّاريخيّة.

ومن هذه الطّرق الصّوفيّة الطريقة التجانيّة؛ الجزائريّة المنشأ، والعالميّة النّفوذ والانتشار، حيث تمكّنت –رغم تأخّرها في الظّهور مقارنة بالطّرق الأخرى- من تجاوز الحدود الجغرافيّة الجزائريّة إلى مختلف أنحاء العالم، فانخرط في صفوفها مئات الملايين من مختلف بقاع المعمورة، فكان لها مريدون كُثُر وزوايا في كلّ مكان؛ في الجزائر وفي دول المغرب الإسلامي والمشرق العربي، وفي إفريقيا وأوروبّا وأمريكا وآسيا. ولها معاهد إسلاميّة في تحفيظ القرآن الكريم وتعليم الدّين واللغة العربيّة وعلومهما وغيرها.

إنّ هذا الانتشار الواسع للطّريقة التّجّانيّة يثير التّساؤل عن حقيقتها وسرّ انخراط النّاس في صفوفها؛ والذي نعزوه إلى الدّور الاجتماعي والإنساني الذي لامس القلوب مباشرة حين وجدت فيه ملاذها الآمن، فالطّريقة التّجّانيّة أولت عنايتها بالمجتمع وركّزت على البعد الجماعي في الممارسة الدّينيّة، لتحقيق قيم المحبّة والتّعاون والتّسامح والإيثار والأخوّة وغيرها، وذلك من أجل ترقية المجتمع والحفاظ على أمنه واستقراره.

ولكن هذا الدّور لم يلق اهتماما من قبل الباحثين، وهذا الجهد لم يثمّن، بالرغم من كون الطّريقة التّجّانيّة توجّهت إلى الشّعوب وغاصت بالتّصوّف في عمق المجتمعات ولم تكن على نطاق ضيّق على الإطلاق.

ومن هنا نطرح الإشكاليّة الرئيسة الآتية:

ما هي خصوصيّات الطّريقة التّجّانيّة التي أهّلتها للقيام بأدوار تربويّة ودينيّة واجتماعيّة فاعلة في المجتمع؟

وما يندرج تحتها من تساؤلات فرعيّة، أهمّها:

ما هو التّصوّف؟ وماذا تعني الطّريقة الصّوفيّة؟ وما هي ظروف نشأة الطّريقة التّجّانيّة؟ وأين تكمن خصوصيّتها السّوسيو أنثروبولوجية؟

ولتحديد النّهج الذي ستخطّه الدّراسة اتبعنا المنهج الوصفي والتاريخي وحدّدنا الكلمات المفتاحيّة الآتية: التّصوّف، الطّرق الصّوفيّة، نشأة الطّريقة التّجّانيّة، الأصول المرجعيّة للطّريقة التّجّانيّة، الخصوصيّة السّوسيو أنثروبولوجيّة للطّريقة التّجّانيّة.

**أوّلا: التّصوّف**

إنّ التّصوّف موضوع أسال حبرا كثيرا بين معارض ومؤيّد، ولكن لا يمكن فهم الطّرق الصّوفيّة ما لم نفهم التّصوّف.

**1- مفهومه لغة:**

تعددت الأقوال في أصل لفظة التصوّف واشتقاقاتها:

- هناك من يرى أن التصوّف نسبة إلى الصّفاء، لأنّ الصّوفي هو الذي صفت سريرته ممّا يشوبُها، يقول (الكلاباذي): "إنما سمّيت الصّوفيّة صوفية لصفاء أسرارها ونقاء أثارها. وقال (بشر بن الحارث): الصّوفي من صفا قلبه لله"[ii]. غير أنّ (القشيري) يرى أنّ "اشتقاق الصّوفي من الصّفاء، بعيد في مقتضى اللغة فأصل الاشتقاق من الصّفاء هو صافي وليس صوفي"[iii].
- ويرى آخرون أنّ التّصوّف مشتق من الصّف لأن الصّوفية بتوجّههم إلى الله -سبحانه وتعالى- بكلّيتهم وقطع العلائق من الخلائق، استحقّوا أن يكونوا في الصّفّ الأوّل من صفوف المؤمنين. ولكن (القشيري) يرى أنّ "المعنى صحيح ولكن اللغة لا تقتضي هذه النسبة إلى الصّفّ لأنّ أصل الاشتقاق صَفِّي وليس صُوفي"[iv].

- وآخرون ينسبون التّصوّف إلى أهل الصّفّة، وذلك للتّشابه الكبير بينهما؛ فكلاهما هجر الدّنيا وتفرّغ لعبادة الله "فالصّوفيّة قوم قد تركوا الدّنيا، فخرجوا عن الأوطان وهجروا الأخدان"[v]. ولكن هذا الاشتقاق أيضا غير صحيح في اللغة، فالأصل صُفِّي وليس صُوفي.
- وقيل إنّه مشتق من (صوفيا) والتي تعني (الحكمة)، "وإلى هذا المعنى يذهب البيروني حيث يرى أن الصوفيّة مأخوذة من الكلمة اليونانية (فيلا صوفيا) أي (محبّ الحكمة) ... ويرجّح بطلان هذا الرأي لأن كلمة (صوفيا) تعني الحكمة في مجال الطب، وليست بمعنى الحكمة الروحية، ولذلك فلا توجد علاقة بين الكلمتين"[vi].
- وقيل أيضا أنّه مشتقّ من الصّوف، فكلمة تَصَوُّفٌ مصدر للفعل تَصَوَّفَ للدّلالة على لبس الصوف. وهذا الاشتقاق هو الأقرب، ودليل ذلك من النّاحية اللغوية صحة ردّ (صوفي) إلى (صوف).

"وما كان اشتقاق مصطلح التصوّف أشهر أنماط الاشتقاق اللغوي من الصّوف لأنّه يحمل بين طيّات معانيه: معنى الفقر والخشونة والذّل والمسكنة ... وكان قد ارتبط بالإيمان لقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: عليكُم بِلبَاس الصُّوف تجِدوا حَلاوَة الإيمَان في قُلُوبِكُم"[vii]. كذلك "قال أبو موسى: كان النبيّ صلى الله عليه وسلم يلبس الصوف... قال الحسن البصري: لقد أدركت سبعين بدريا ما كان لباسهم إلا الصّوف"[viii].

وسمّي الصوفيّة بهذا الاسم لأنهم اتبعوا دأب الأنبياء والصّحابة واتخذوا لباسهم من الصّوف اقتداء بهم، يقول (الكلاباذي) في ذلك: "ومن لبسهم وزيّهم سمّو الصّوفية"[ix].

ويمكن القول إنّ لبس الصّوف كان هو الغالب على المتقدمين من الصوفيّة فأطلق عليهم الناس اسم (الصوفيّة)، ثم أصبحت هذه التسمية تطلق على كل من يتبعهم، ثمّ انتقلت دلالة التسميّة لتشمل كلّ من يسير على نهج الصوفيّة إلى أن أصبح طريقهم يعرف بالتصوّف.

**2- مفهومه اصطلاحا:**

التصوّف علم وعمل, أدب ومحبّة, عبادة ومجاهدة، تطبيق عملي للشّريعة الإسلاميّة في الحياة اليوميّة، منهج للحياة الربّانية التي أرادها الله لعباده؛ يوازن بين متطلبّات الجسم والروح على حدّ سواء، بل يتجاوز المادة إلى الروح والدنيا إلى الآخرة، ويرتفع بالإنسان

المخلوق إلى معرفة خالقه وعبادته حقّ العبوديّة، وذلك عن طريق تزكية النفس ومُجاهدتها، يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[x].

وحول هذا المعنى دارت أغلب تعريفات التصوف، من ذلك: قول الروذباري: "من كانت الدّنيا منه على القفا، وسلك منهاج المصطفى. وقول الجنيد: تصفية القلب عن موافقة البريّة، ومفارقة الأخلاق الطّبيعيّة، وإخماد الصّفات البشريّة، ومجانبة الدّعاوي النّفسانيّة، ومنازلة الصّفات الرّوحانيّة، والنّصح لجميع الأمّة، والوفاء لله على الحقيقة، واتّباع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشّريعة"[xi]. وقول ابن عربي: "التخلق بأخلاق الله تعالى هو التصوّف"[xii].

وقد عرّف الشّيخ أحمد التجاني التّصوّف بقوله: "هو امتثال الأمر واجتناب النّهي في الظّاهر والباطن من حيث يرضى لا من حيث ترضى"[xiii]. ففي هذا التّعريف حدّ لنا الشيخ حدود التصوف، وهي:

- **العلم:** يمثّل العلم بالشّريعة (امتثال الأمر واجتناب النّهي).

- **العمل:** اتّباع الشّريعة في مقام الإسلام (الظاهر)؛ بمعنى تطهير الجوارح من الذنوب، كالسرقة والقتل والزنا والغيبة... واتّباع لها في مقام الإيمان (الباطن)؛ بمعنى تطهير القلوب من المساوئ والعيوب، كالكبر والعجب والحسد ...

- **العبادة:** وحقيقتها التطبيق العملي للشّريعة في مقام الإحسان (من حيث يرضى لا من حيث ترضى)، في محل الشهود والعيان، مثل: كظم الغيظ، العفو عند المقدرة، الإحسان عند الإساءة...، فالمريدُ طريقَ الله إذا أُسيءَ إليه حَلُم، وإذا جُهِلَ عليه غفر، وإذا أذنب تاب واستغفر، وإذا اِبْتُلِيَ صبر، وإذا أُعْطِيَ شكر.

فالتّصوّف إذن يجمع بين الشّريعة والحقيقة، بمعنى تجسيد الشّريعة حقيقة فعليّة كما كان حال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قالت عنه السيدة عائشة -رضي الله عنها-: "كان خلقه القرآن".

**ثانيا: الطّريقة الصّوفيّة**

**1- تعريفها لغة:**

الطّريقة في اللغة تعني الطّريق والسّبيل[xiv]، أي الطّريق المستقيم الواضح، والسّبيل الموصل إلى الله -عز وجل- والمنهج المتّبع في ذلك، لقوله تعالى: ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتّبعني﴾[xv].

**2- تعريفها اصطلاحا:**

الطّريقة الصّوفيّة هي "عبارة عن رابطة روحيّة تتّخذ التّعبّد والتّنسّك وسيلة لإصلاح الفرد والمجتمع"[xvi]. وهي أيضا "رابطة روحيّة قويّة، وطاقة نفسيّة صلبة، تنظّم أفرادا من الأتباع في سلك واحد وتحت قيادة مسموعة ومتبوعة، وكانت الطّريقة تعمل عمل الجمعيّات الخيريّة الحديثة في السّلم، وتعمل عمل الجيش الإسلامي في الحرب، وقد كانت الزّوايا التي تتمركز فيها أصحاب الطّرق تقوم مقام الملاجئ للفقراء والمحتاجين، وتقوم مقام المعاهد والمدارس لطلبة الثّقافة من القرآن والحديث والفقه والأخلاق، وتقوم مقام المساجد يذكر فيه اسم الله كثيرا"[xvii].

**3- نشأة الطرق الصوفية:**

إنّ تأسيس الطّرق وادّعاء المشيخة ليس بالأمر الهيّن، وفي ذلك يقول الشيخ أحمد التجاني: "**وأوصيكم بالمحافظة على البعد عن أمور؛ إنّ كل من وقع في واحد منها أماته الله كافرا من غير شكّ؛ ... والثالثة ادّعاء الولاية بالكذب، والرّابعة الانتصاب للمشيخة من غير إذن، والخامسة تعمّد الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم**"[xviii].

فالتّصدّر لتربية الخلق وإنشاء طريقة لابدّ من أن يستند إلى إذن خاص، وفي ذلك يقول أيضا: "**... ولا يفيد الإذن العام، مثل قوله تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربّك بالحكمة﴾**[xix] **فإنّ ذلك في العام للعام، وهذا في الخاصّ للخاصّ، فلابدّ من خصوص الإذن وإلاّ فلا سبيل...**"[xx]. وهذا يعني أنّ سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو السّند والمرجعيّة المطلقة لرجال الصّوفيّة الذين يلجؤون -بدون استثناء- إلى أبويّته الرّوحيّة، ويتنافسون في الاهتداء بهديه القويم، لقوله تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله إسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾[xxi]. ويقول البوصيري:

**وكلهم من رسول الله ملتمس غرفا من البحر أو رشفا من الدّيم**[xxii]

وعليه فإنّ ظهور أوّل طريقة صوفيّة يعود إلى الشّيخ عبد القادر الجيلاني (1078، 1166م) الذي يعدّ أوّل من أنشأ طريقة كمنهج سلوكي ديني مفتوح لكل جموع المسلمين، وقد انتشرت طريقته القادريّة في جميع ربوع البلاد الإسلاميّة، وحمل لواءها بالجزائر جمع من أكابر رجال الصّوفيّة، وعلى رأسهم أبو مدين التلمساني – شيخ ابن عربي- الذي يعدّ أوّل من نشرها بالجزائر وبلاد المغرب، والشيخ عبد السّلام بن مشّيش المربّي لأبي الحسن الشّاذلي. ويرتفع سند القادريّة إلى الحسن البصري (642، 728م) الذي أخذ عن الإمام علي –كرم الله وجهه- وهو أخذ عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وحذا حذوه جميع مؤسّسي الطرق من بعده؛ إذْ يرفعون سندهم إمّا إلى أبي بكر –رضي الله عنه- وإمّا إلى علي - رضي الله عنه-، من بينهم: الشّيخ عمر بن عبد الله السّهروردي (1144، 1234م)، الشيخ أبو الحسن الشّاذلي (1196، 1258م)، الشيخ زرّوق (ت1494م). ويختلف الشيخ أحمد التجاني (1815،1737م) عن سابقيه؛ إذ ينسب سنده المباشر إلى النبي صلى الله عليه وسلم بدون واسطة، وذلك بعد ما تفضّل عليه بالإذن له بتأسيس الطريقة التّجانيّة وبتلقين أورادها.

**ثالثا: الطّريقة التّجانيّة**

**1- تعريفها:**

تعرّف بأنّها "منهج سلوكي أو منهجيّة لبلوغ مقصد معيّن. وبالمفهوم الصّوفي، هي تصوّر تطبيقي للحياة الرّوحيّة يسعى إلى الرّبط التّوافقي بين الحقيقة والشّريعة في سبيل التقرّب إلى الله تعالى، وذلك ابتغاء تحسين المعرفة بالله لأجل المزيد من الإقبال على عبادته[xxiii]، لقوله تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا وإنّ الله لمع المحسنين﴾[xxiv].

إنّ الطّريقة التّجّانيّة هي المدرسة الرّوحيّة التي أسسها الشيخ أحمد التجاني لتربية الخلق وتزكية نفوسهم، فهي مدرسة تربويّة؛ فكريّا وروحيّا وأخلاقيّا وإنسانيّا، تخرّج منها العديد من الرّجال الذين ساهموا في بناء المجتمعات الإنسانيّة.

**2- مؤسّسها:**

هو الشيخ أحمد التجاني[xxv]؛ "أبو العباس أحمد بن مَحمد بن المختار بن أحمد بن محمد بن سالم, ولد سنة (1150 هـ،1737م) بقرية عين ماضي بولاية الأغواط بالجزائر، كان كريم الأخلاق طيب النّفس والفعال, كثير الحياء والأدب, حسن السّمت, طويل الصّمت, كثير الوقار عالي الهمة"[xxvi].

حفظ القرآن العظيم في السابعة من عمره على يد الشّيخ أبي عبد الله محمد بن حمو, وما بلغ الخامسة عشر حتى أتمّ الدراسة بعين ماضي على يد الأستاذ مبروك بن بوعافية, فقرأ عليه مختصر خليل والرسالة لابن أبي زيد القيرواني ومقدمة ابن رشد وكذلك تحصّل على كل ما يلزمه من علم النحو واللغة[xxvii].

ثمّ مال إلى طريق الصوفية فأخذ العلم عن كبار علماء فاس ومصر، وعلماء الحجاز بمكة والمدينة المنوّرة إلى أن تصدّر للتّدريس وأسّس طريقته، درّس في الأبيض سيدي الشّيخ والجامع الكبير بتلمسان، وفي جامع الزّيتونة بتونس[xxviii].

رحل إلى فاس سنة 1798م، وبقي فيها يدرّس ويفتي ويربّي وقد أقبل عليه النّاس من كلّ جهة يأخذون عنه العلم والتّربية ويعتنقون طريقته التي بدأت في الانتشار شيئا فشيئا، إلى أن وافته المنيّة سنة 1230هـ 1815م[xxix].

**3- نشأتها:**

ظهرت الطريقة التجانيّة على يد الشّيخ أحمد التّجّاني في القرن الثاني عشر هجري (الثّامن عشر ميلادي)، بالتّحديد في خريف 1781 بقصر أبي سمغون بولاية البيّض في الجنوب الغربي الجزائري، وذلك بعد أن حصل له الإذن بتلقين الخلق الأوراد، وإرشادهم إلى طريق الله تعالى، وفي ذلك يقول بأنّ سيّد الوجود صلى الله عليه وسلم قال له: "**لا منّة لمخلوق عليك من أشياخ الطريق، فأنا واسطتك وممدّك على التحقيق، فاترك عنك جميع ما أخذت من جميع الطريق، والزم هذه الطريقة من غير خلوة ولا اعتزال عن الناس حتى تصل مقامك الذي وعدت به وأنت على حالك من غير ضيق ولا حرج ولا كثرة مجاهدة واترك عنك جميع الأولياء**"[xxx].

من ذلك الحين أخذ الشّيخ أحمد التّجّاني في نشر طريقته وتلقين أورادها للخلق، فامتدّت إلى الصّحراء الجزائريّة؛ عين ماضي والأغواط، والأبيض سيدي الشّيخ، ووادي سوف ووادي ريغ وبلاد التّوارق. وتلمسان أيضا التي أقام ودرّس فيها لمدّة عشر سنوات من قبل. وفاس أيضا التي هاجر إليها. ولم تمرّ عليها سوى 240 سنة حتّى سجّلت انتشارا واسعا في مختلف دول العالم، وبين أناس ينتمون إلى حضارات مختلفة, وينطقون بلغات متنوّعة، ويتفاوتون في المرتبة العلميّة.

**4- زواياها:**

إنّ تأسيس الطّريقة التّجّانيّة كان مؤسّساتيّا منذ البداية، وما يدلّ على ذلك منهجيّة الشيخ أحمد التجاني في بناء وإنشاء الزّوايا[xxxi] في كلّ مكان، وتنظيم شؤون كلّ زاوية من خلال اختيار الرّجال الأكفّاء "مِنَ الوافدين عليه، ذوي العلم والصّلاح والكفاءة فيجيزهم، ويعيّنهم خلفاء عنه في مناطقهم، وهؤلاء بدورهم يعيّنون مقدّمين[xxxii] مساعدين لهم في بلداتهم وقُراهم المجاورة... ويكلّفهم ببناء مكان يجمعهم للذّكر واللقاء والدّعوة والإصلاح والمناسبات المختلفة وغيرها"[xxxiii]. وهو المنهج نفسه الذي سار عليه خلفاؤه من بعده إلى اليوم.

فالزّاوية تمثّل المدرسة التي تمارس فيها الطّريقة منهجها التربوي، وتتكوّن من ثلاث مستويات[xxxiv]:

- ✓ **المستوى الأوّل:** المذهبي أو الطّريقة أي الطّريق المرسوم للأتباع من طرف الشّيخ المؤسّس والذي يترجم في صيغة أذكار وأوراد وأحزاب.
- ✓ **المستوى الثّاني:** المستوى التّنظيمي أي الطّريقة اتّخذت شكلا منظّما يحدّد العلاقات بين المريدين فيما بينهم وكذا بشيخهم مثلما يسمح بتحقيق التّواصل وضمان الوحدة وإن تباعدت الأمكنة والأزمنة.
- ✓ **المستوى الثالث:** الميداني وهو الزّاوية أو الوجود المادّي في المكان والزّمان.

وإذا انتقلنا إلى الزّاوية التّجّانية نجد أنّها ترتكز على ثلاثة مستويات[xxxv]:

**أ- المستوى المادي: (الميداني)**

الزّاوية التّجّانيّة هي عبارة عن مجموعة من المباني والقاعات المنظمة تنظيما محكما والتي تلبّي جميع مقاصد العبد؛ الرّوحيّة والعلميّة والعمليّة، حيث تشمل مكانا للصّلاة (مسجد)، وآخر للتعليم (مدرسة قرآنيّة)، وآخر للمطالعة (مكتبة)، وآخر للبحث والتقصّي (فضاء الانترنت)، وآخر للاجتماعات واللقاءات الروحيّة والعلميّة (قاعة المحاضرات)، وآخر لاستقبال الضّيوف والزّائرين (منازل لإيواء الوافدين). وهذا التّعدّد والتّنوّع في الهياكل جعل المدرسة التّجّانيّة شاملة؛ منبر علم، وميدان عمل وبيت لله فيه يعبد ويذكر.

**ب- المستوى الفكري: (الطريقة)**

يمثّل مجموعة الأذكار والأوراد التي تؤدّى في الزّاوية.

**ج- المستوى الاجتماعي: (التنظيم)**

تعمل الطّريقة التّجّانيّة على تنظيم العلاقات بين أفرادها داخل الزّاوية، وفي ذلك يقول الشّيخ محمد العيد التجاني: "لا يمكن للزاوية التّجّانيّة أن تؤدي دورها دون وجود كتلة بشرية تعمل بها، وتقوم على شؤونها وتقدم خدماتها للآخرين مهما كان توجههم، وهذه الكتلة تعمل وفق نظام حلقي ذي تشكيل دائري كالآتي[xxxvi]:

- ✓ **الحلقة الأولى:** تتكوّن من الشّيخ والمقاديم، حيث يتم استقبال انشغالات المريدين من طرف المقدّم ليقدّمها إلى الشّيخ، ومن ثَمّة الحصول على الإجابة والحلول المناسبة.
- ✓ **الحلقة الثانية:** تشمل القائمين على تسيير النظام المعمول به في الزاوية، وهم المشرفون والعاملون على خدمة الحاضرين مأكلا ومبيتا وغير ذلك، ما يسهّل للمتعلم أو المريد القيام بعمله، وتقديم طلبه، ثم الوصول إلى هدفه.

✓ **الحلقة الثالثة:** تضم المريدين وتربط بينهم برباط روحي (المحبّة) وذلك حتى يحدث التّواصل والتّعاون فيما بينهم.

**رابعا: الأصول المرجعيّة للطريقة التجانية:**

تختلف الطّريقة التّجّانيّة عن باقي الطّرق الصّوفيّة من حيث المرجعيّة الدّينيّة، فهي تستند إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مباشرة، أمّا باقي الطّرق الأخرى فقد أخذوا عنه بواسطة، وما يؤكّد ما ذهبنا إليه قول مؤسّسها الشّيخ أحمد التّجّاني: **"قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا منّة لمخلوق عليك من أشياخ الطّريق، فأنا واسطتك وممدّك على التّحقيق"**[xxxvii]. فهو قد أخذ الإذن في تأسيسها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما يعني أنّها تستمدّ منهجها من القرآن الكريم والسّنّة النّبويّة المطهّرة، ولنا في أورادها وأسسها أكبر دليل على ذلك.

**1- أوراد الطّريقة التّجّانيّة:**

رتّب رسول الله صلى الله عليه وسلم أوراد هذه الطريقة بالكيفيّة المتواتر عليها لحدّ الآن؛ وهي الورد المعلوم[xxxviii] الذي يمثّل أوّل أركان الطريقة، ثمّ ورد الوظيفة[xxxix] وهو ثاني أركان الطريقة، ثمّ ورد الهيللة[xl] وهو ثالث الأركان. وفي ذلك يقول الشّيخ أحمد التجّاني: **"... ثمّ أعطاني طريقة من الأوراد وأمرني بلزومها من غير خلوة ولا اعتزال على النّاس"**[xli]. ولقد صدق العلاّمة الجليل الشّيخ إبراهيم الرّياحي[xlii] حين قال في قصيدته السّينيّة:

**وما ظنونك بالورد الذي نظمت يد النّبوءة هل يبنى بلا ساس**[xliii]

وبهذه الأوراد أرشد الشّيخ أحمد التّجّاني المسلمين خاصّة إلى ذكر الله تعالى والتقرّب إليه بكلّ همّة وإرادة عابرين مقامات الإسلام والإيمان حتّى يبحروا في مقام الإحسان، فيكونوا من السّابقين الذين قال فيهم تعالى: ﴿**والسابقون السابقون (12) أولئك المقرّبون (13) في جنّات النّعيم (14) ثلّة من الأوّلين (15) وقليل من الآخرين (16)**﴾[xliv]. وأرشد النّاس كافّة إلى دين الله – الإسلام- أوّلا، ثمّ دعاهم إلى معرفته والتعلّق به، وذلك بذكره على الدّوام. وواصل خلفاؤه من بعده طريقه على المنهج نفسه إلى اليوم.

**2- أسس الطّريقة التّجّانيّة:**

استمدّ الشيخ أحمد التّجّاني أسس منهجه الصّوفي من الشّريعة الإسلاميّة، لأنّه يتبع هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسير على خطاه فهو مرجعيّته، لقول الشيخ: "**التّصوّف امتثال الأوامر واجتناب النّواهي في الظاهر والباطن من حيث يرضى لا من حيث ترضى**". وعليه فأسس الطّريقة التّجّانيّة مستمدّة من الكتاب والسّنّة، وهي:

**أ- العلم: (امتثال الأمر واجتناب النّهي)**

وهذا يعني العلم بالشّريعة واتّباع الصّراط المستقيم الذي يمثّل قمّة الوسطيّة وذروة سنامها وأعلى درجاتها، فهو "طريق العبوديّة، طريق الخوف والرضا والحب، وامتثال المأمور واجتناب المحظور، ومتابعة الكتاب والسّنّة والعمل بطاعة الله"[xlv].

**ب- العمل: (في الظاهر في الباطن)**

والمقصود به العمل بالشّريعة في الظّاهر والباطن في كل قول وعمل، فتقيّد العبد داخليّا بضوابط ومعايير الشّرع يؤدّي حتما إلى ظهور السّلوك المتّزن الوسطي البعيد عن الانحراف والتّجاوز. فالسّلوك الصّوفي يُبنى على أساس اتّباع الحق الثّابت والانقياد بقانون الشّريعة داخليا وخارجيا.

**ج- العبادة: (من حيث يرضى لا من حيث ترضى)**

ويعني عبادة الله تعالى وإرضائه على الدّوام في كلّ فعل وقول وخاطر حتى وإن كان مخالفا لهوى النّفس، وفي ذلك يقول الشيخ أحمد التجاني: "**وَصُونُوا قُلُوبَكُمْ إِذَا رَأَيْتُمْ أَحَدًا فَعَلَ حَقّاً يُخَالِفُ هَوَاكُمْ, أَوْ هَدَمَ بَاطِلاً يُخَالِفُ هَوَاكُمْ أَنْ تُبْغِضُوهُ أَوْ تُؤْذُوهُ فَإِنَّ ذَلِكَ مَعْدُود مِنَ الشِّرْكِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى**"[xlvi].

وممّا سبق ذكره نجد أنّ أسس المنهج الصّوفي الذي حدّده الشيخ أحمد التجاني لنفسه ولكل من انتهج نهجه هو الدّين بجميع مقاماته؛ الإسلام والإيمان والإحسان؛ إذ لابدّ من معرفة شرع الله وحدوده؛ حلاله وحرامه. ثم العمل به وتطبيقه ظاهرا وباطنا في الحياة اليوميّة من أجل الوصول إلى مرضاته تعالى، وفي ذلك يقول الشيخ: "**وَلْيَكُنْ سَعْيُهُ فِي ذَلِكَ فِي مَرْضَاةِ اللهِ تَعَالَى لاَ لِحَظِّ زَائِدٍ عَلَى ذَلِكَ...**"[xlvii].

**3- مبادئ الطّريقة التّجّانيّة:**

**أ- المحبّة:** أوّل مبدأ للطّريقة التّجّانية هي محبّة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنّ المحبّة هي سبيل الطّاعة والاتّباع لقوله تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبّون الله فاتّبعوني يحببكم الله﴾[xlviii].

وبهذا المبدأ يختلف الشّيخ أحمد التّجّاني عن غيره من الصّوفيّة، فهو يرى أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم هو باب الوصول، ولا مطمع لأحد في الوصول إلى محبّة الله تعالى دون رسوله صلى الله عليه وسلم. ولقد صنّف محبّة الخلق لله تعالى إلى أربع مراتب، هي[xlix]:

**محبّة الذّات**: وتشمل الذين أحبّوه تعالى محبّة الذّات، فاتّبعوا رسوله واقتدوا به في الاتّصاف بالأحوال العليّة والأخلاق الإلهيّة.

**محبّة الصّفات:** وتشمل الذين أحبّوه تعالى لأجل ما هو عليه من محامد الصّفات.

**محبّة الآلاء والنّعماء:** وتشمل الذين أحبّوه لآلائه ونعمائه، ومقتضى ذلك هو الشكر لله تعالى، فهؤلاء اقتدوا به صلى الله عليه وسلم في مقام الشكر، حيث قيل له في قيام الليل: أتفعل هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال: أفلا أكون عبدا شكورا، وقد قال صلى الله عليه وسلم: أحبّوا الله لما يغدوكم به من نعمه، وأحبّوني لحبّ الله، وأحبّوا أهل بيتي لحبّي.

**محبّة الإيمان:** وتشمل الذين أحبّوه تعالى محبّة الإيمان، وهم الذين اتّبعوا رسوله صلى الله عليه وسلم في مرتبة الإيمان، والمحافظة على بعض الفرائض، وإن وقعوا في بعض المخالفات فما خرجوا عن متابعته صلى الله عليه وسلم.

**ب- ميزان الشّرع:**

جعل الشّيخ أحمد التجاني الشّرع ميزانا لأقواله، وفي ذلك يقول: **"إذا سمعتم عنّي شيئا فزنوه بميزان الشّرع، فإن وافق فاعملوا به وإن خالف فاتركوه"**[i]. لأنّه قد يُكْذَبُ على الشّيخ ويُلْحَق به ما ليس له، فكان هذا المبدأ هو الحاسم لكل قول أو فعل وُسِمَ به الشيخ ينافي الشّرع.

**ج- الأصالة والمعاصرة:**

يقول الشيخ أحمد التجاني: "**بِسَيْرِ زَمانِكَ سِرْ**"[ii]، بمعنى أنّ المنهج الصّوفي التّجّاني يساير العصر دون أن يتخلّى عن مقوّماته، فهو يجمع بين مفارقتين؛ الدّين والدّنيا، روح الشّرع ومتطلّبات الرّاهن الاجتماعي في الوقت نفسه، وهذا المبدأ اختصّت به التّجّانيّة، يقول أندري: "إنّ الجانبين الدّنيوي والرّوحي يحتلان نفس المكانة في هذه الطّريقة، وهو ما اعتبره ظاهرة جديدة في التّصوّف"[iii].

**خامسا: الخصوصيّة السوسيو أنثروبولوجية للطّريقة التّجّانيّة**

إنّ الطّريقة التّجّانيّة تختلف كثيرا عن غيرها، فهي تنأى عن النّخبويّة التي تقيّدها فتجعلها حكرا على أهل العلم، لتفتح الباب على مصراعيه أمام الجميع ليدخلوا في صفوفها أفواجا. وتفارق بعض الطّرق في شكل الممارسة الدّينيّة التي تتّسم بالتّكتّم والانفراديّة، لتتفرّد بالتّركيز على البعد الجماعي للعبادة، وتختلف أيضا بكونها ظاهرة تديّنيّة شعبيّة يستوي فيها الأمّي والعالم، الذّكر والأنثى، حيث أعطت للمرأة نفس حظوظ الرّجل في الانخراط في صفوفها وأداء أورادها وأذكارها، عكس بعض الطّرق التي تتّبع نظام

تسليك يتّسم بقدر كبير من الجهد، الأمر الذي منعها من أن تتّسع كثيرا خاصّة في صفوف النّساء. ويمكن توضيح خصائصها كالآتي:

**1- نظام الطّريقة الحلقي:**

إنّ النّمط الذي تفرّدت به الطّريقة التّجانيّة هو النّظام الحلقي؛ إذْ تبدأ الحلقة من الشّيخ لتشمل الجميع ثمّ تعود إليه، ولا تعمل بالنظام الهرمي الذي يمثّل فيه الشّيخ السّلطة العليا التي تصدر الأوامر، بل هو واحد منهم يوجّه النّاس ويرشدهم لطريق الله تعالى، وفي ذلك يقول الشّيخ أحمد التّجاني: "**والشّيخ في هذه الأمور دال ومعين، لا خالق ولا فاعل**"[liii]. فهو يعين المريد على أمر دينه؛ إن نسى ذكّره، وإن ذكر أعانه. وهذا ما يؤدّي إلى الإقبال عليها.

**2- يسر المنهج وسهولته:**

إن أوراد الطّريقة التّجانيّة "سهلة ميسورة لا تتطلّب جهدا كبيرا ولا وقتا طويلا، أساسها الاستغفار والصّلاة على النّبي صلى الله عليه وسلم والكلمة المشرّفة لا إله إلا الله"[liv]. ويسر منهجها جعلها تتفرّد بكونها أكثر شعبيّة، حيث يزداد عدد المنخرطين فيها يوما بعد يوم حتى أصبح تعدادهم بمئات الملايين، يقول (سيميان): "فيها حرّيّة واسعة، لا نجدها في باقي الطّرق الصّوفيّة، ساعدتها على حشد عدد كبير من الأتباع وهي بسيطة في تعاليمها غير معقّدة، لا تأمر بالخلوة ولا التّقشّف، هي مليئة بالتّسامح"[lv].

**3- الترقية الاجتماعيّة:**

إنّ الطّريقة التّجانيّة وسيلة للتربية والترقية الاجتماعيّة حيث تدعو الجميع للانخراط في سلكها، ولا تقتصر على فئة معيّنة فقط، فأورادها "ليست خاصّة، بل عامّة تعطى لكلّ مسلم يطلبها، مع بعض الشّروط كالمحافظة على الصّلاة في جماعة قدر الإمكان، والمحافظة على سائر الأمور الشّرعيّة، وبرّ الوالدين وعدم مقاطعة الخلق وعدم أمن مكر الله..."[lvi]. فهي عامّة للجميع بشرط الرضى والقبول، فهذا الأخير أوّل شرط من الشّروط العامّة للانخراط في الطّريقة التّجانيّة.

**4- البعد الجماعي للممارسة الدّينيّة:**

ركّزت الطّريقة التّجانيّة على البعد الجماعي في ممارسة العبادات وخاصّة الصّلوات والأوراد، والزّيارات.

**أ- الأوراد:**

تمثّل الأوراد والأذكار أهمّ آليّة لتهذيب النفس وتعديل السلوك، ومن بين هذه الأوراد: الوظيفة والهيللة اللتان تمثلان عبادة جماعيّة لازمة كلّما توفّرت شروط الاجتماع للمريدين، وهي بذلك تزيل التّفاوت الاجتماعي والطّبقي، والاختلاف الجغرافي واللغوي والعرقي اللوني، وتربّي الفرد والمجتمع على تجاوز الاختلافات البشريّة واختلاف المقامات الاجتماعيّة؛ إذ نجد في حلقة الذّكر: الشيخ والمقدم والمريد المبتدئ والعالم والأمّي والغني والفقير بجانب بعضهم البعض دون تمييز بينهم، حتى أنّ الزّائر لا يفرّق بين الشّيخ والمريد.

**ب- التّزاور في الله:**

يقول تعالى في الحديث القدسي: "وجبت محبّتي للمتحابّين فيّ، والمتجالسين فيّ، والمتزاورين فيّ، والمتباذلين فيّ"[lvii]. وقد جسّد الشّيخ أحمد التّجّاني وخلفاؤه من بعده محتوى هذا الحديث القدسي في حياتهم، حيث جعل المحبّة أساس الطّريقة التّجانيّة؛ "فالحبّ هو المعنى المطلق الذي يُحرِّر الآدميَّ من نسبيَّته التي يكتنفها الشّرّ والتي تخضع للضّرورة"[lviii]، فمتى امتلأ القلب بالمحبّة فلا يمكن أن يصدر عنه ما ينافيها، ولهذا فإن التّجّانيين وإلى يومنا هذا لا يزالون يتبادلون الزّيارات فيما بينهم وبين الزّوايا التجّانيّة.

**ج- التّعايش:**

غرست الطّريقة التّجّانيّة فسائل الحبّ في أتباعها وأصحابها فأينعت ثمار التّسامح والإحسان والإيثار والصّفح والإخاء بين أفراد المجتمع، وبذلك عالجت مشاكل النّفس البشريّة كالكره والحقد والبغض والحسد والأنانية وغيرها من الأخلاق السّيّئة والأمراض النّفسيّة التي تفكّك الرّوابط الاجتماعيّة، وعملت على تعزيز النّسيج الاجتماعي وإرساء قيم التّعايش من خلال التّعاون والتّكافل والعفو والصّفح والتّسامح وغيرها، والتي تضمن حياة الفرد الآمن في المجتمع الموحّد.

وفي ذلك يقول في إحدى رسائله: "... **وأكثروا العفو عن الزّلل والصّفح عن الخلل لكلّ مؤمن. وآكد ذلك لمن آخاكم في الطّريقة، فإنّ من عفا عن زلّة, عفا الله له عن زلاّت، ومن وقع فيكم بزلّة ثمّ جاءكم معتذرا فاقبلوا عذره وسامحوه لكي يقبل الله أعذاركم ويسامحكم في زلاّتكم ... وتأمّلوا قوله سبحانه وتعالى: ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربّكم وجنّة عرضها السّماوات والأرض أعدّت للمتّقين، الذين ينفقون في السّرّاء والضّرّاء والكاظمين الغيظ والعافين عن النّاس والله يحبّ المحسنين﴾**[lix].

**د- التفاعل الإيجابي وعدم الانعزال:**

يمثّل الإحسان ترجمة حقيقيّة للسّلوك الإنساني في شكل تفاعلات اجتماعيّة؛ إذ لا معنى للتّصوّف ما لم يتحوّل إلى سلوك تفاعلي يومي يبرز مميّزاته وقوّته في التّعامل مع النّاس، وتأثير إيجابي في الوسط الاجتماعي الذي يوجد فيه. ولهذا جاءت الطّريقة التّجّانيّة "خالية من التزام الخلوة والاعتزال عن النّاس ونحو ذلك ممّا فيه تشديد عن النّفس وتضييق"[lx]، وذلك لقول الشّيخ أحمد التّجّاني: **"...ثمّ أعطاني طريقة من الأوراد وأمرني بلزومها من غير خلوة ولا اعتزال"**.

فتميّز بذلك المريدون التّجّانيّون بالتّفاعل الإيجابي مع مجتمعاتهم التي يعيشون فيها، ولم يركنوا إلى الجمود والانعزال بحجّة الاشتغال بالعبادة، بل اندمجوا في محيطهم الاجتماعي وتفانوا في خدمته، وكانوا عناصر فعّالة؛ خادمين، مصلحين.

**ه- تقبل الآخر:**

إنّ مبدأ المحبّة الذي ترتكز عليه الطّريقة التّجّانيّة أرسى الثّقافة التي تَقْبَلُ الآخر، وتتواصلُ معه وإنْ اختلف معها في الدّين والعقيدة والرّأي؛ فهي "لا تقوم على رفض الآخر على اختلاف رُأهُ؛ فهي تعتبر الصّوفي أخًا في الطّريق، والمسلم أخًا في الدّين، والآخر الذي يخالفك في الدّين والعقيدة شريكا في العبوديّة لله والمجتمع الإنساني الواسع"[lxi]. ولا عدوّ لها إلا الشّيطان كما يقول الشيخ الحاج علي التماسيني[lxii]: **"ليس لنا عدوّ إلا الشّيطان"**، لأنّ الله تعالى أمرنا بمعاداته، لقوله: ﴿ ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنّه لكم عدوّ مبين﴾[lxiii].

**و- إصلاح ذات البين:**

يقول تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون﴾[lxiv]، ويقول الشّيخ أحمد التّجّاني: **"... وأوصي من كان مقدّما على إعطاء الورد أن يعفو للإخوان عن الزّلل وأن يبسط رداء عفوه على كلّ خلل وأن يتجنّب ما يوجب في قلوبهم ضغينة أو شينا أو حقدا وأن يسعى في إصلاح ذات بينهم... وإن اشتعلت نار بينهم, سارع في إطفائها. وليكن سعيه في ذلك في مرضاة الله"**[lxv].

تجسيدا لهذه الآية الكريمة على أرض الواقع وامتثالا لتوجيهات الشّيخ توشّح رجال الطّريقة التّجّانيّة سلاحهم الدّعوي والإصلاحي عبر كلّ رحلاتهم وزياراتهم داخل القطر الجزائري وخارجه، فقاموا بأدوار جليلة في فكّ الخصومات وإصلاح ذات البين، ونشر ثقافة الاحترام وقضاء الحوائج، وساهموا في إخماد نيران الفتن والقضاء على النّزاعات في

أماكن مختلفة. فكانوا بحقّ رسل محبّة وإصلاح وإحسان ينشرون الأمن والسّلام بين أفراد المجتمع، لأنّ إصلاح ذات البين يبعث في النّفوس الطّمأنينة وفي المجتمع الاستقرار والأمن.

**خاتمة:**

وفي الأخير يمكن رصد النّتائج التي توصّل إليها البحث، وهي كالآتي:

- ✓ إنّ المنبع الرّئيسي للتّصوّف هو المنهج الرّباني المسطر في القرآن الكريم، والمجسّد في السنّة النّبويّة المطهّرة؛ فكلّ الصّوفيّة لا يحيدون عن هذا الطّريق المستقيم، ولكن لكلّ منهم منهج مستقل في التّوجّه إلى الله تعالى، فالطّرق إلى الله بعدد أنفاس بني آدم كما يقولون.
- ✓ الطّريقة الصوفيّة هي الطّريق والمنهج المتّبع في العبادة من أجل الوصول إلى مرضاة الله – عز وجل- دنيا وأخرى والذي يبيّنه الشّيخ للسّالكين، لقوله تعالى: "واتبع سبيل من أناب إليّ".(سورة لقمان، الآية 15).
- ✓ إنّ الطّريقة التّجّانيّة طريقة صوفيّة تتّبع منهج عملي خاصّ بها في التّربية، وتسعى من خلاله إلى تهذيب النّفس البشريّة والسّير بها قُدُما نحو مقام الإحسان؛ المقام الثالث من مقامات الدّين، وهو أعلاها وأرقاها والمعبّر عنه في حديث عمر: "أن تعبد الله كأنّك تراه وإن لم تكن تراه فهو يراك". والذي لا مطمع لأحد فيه إلا بعد إتمام مقام الإسلام عملا ومقام الإيمان اعتقادا، ليصل إلى مقام الإحسان ذوقا وشهودا.
- ✓ ظهرت الطريقة التجانيّة على يد الشّيخ أحمد التّجّاني في القرن الثاني عشر هجري (الثّامن عشر ميلادي)، بالتّحديد في خريف 1781 بقصر أبي سمغون بولاية البيّض في الجنوب الغربي الجزائري، ثمّ انتشرت فامتدّت إلى الصّحراء الجزائريّة وتلمسان وفاس وتونس، ومنها إلى إفريقيا وأوروبا وكلّ دول العالم.
- ✓ إنّ الطّريقة التجانية مدرسة روحيّة تطبيقيّة أكثر منها نظرية، طبّقت منهجها التربوي في زواياها التي تعدّدت مجالاتها فشملت فروعا عديدة تعدّ مؤسّسات قائمة بذاتها؛ مؤسسة علميّة (مدارس قرآنيّة لتعليم القرآن الكريم والحديث الشّريف واللغة العربيّة وعلومهم)، مؤسسة دينية (مساجد للصلاة والذكر)، مؤسسة خيرية (مراكز إيواء للفقراء والمحتاجين)، مؤسسة ثقافية (ممارسة الإنشاد والسّماع الصّوفي)، مؤسسة تربوية اجتماعية (مدرسة للتربية وترقية المجتمع).

- ✓ اختلفت الطّريقة التّجّانيّة عن غيرها من حيث أصولها المرجعيّة؛ فهي ترجع في سندها إلى النّبي صلى الله عليه وسلم مباشرة دون واسطة، وأسسها ومبادئها مستمدّة من الشّريعة الإسلاميّة؛ فأمّا الأسس فهي: العلم والعمل والعبادة (علم بالشّريعة وعمل بها وإرضاء الله تعالى على الدّوام). وأمّا المبادئ فهي: المحبّة، اتّخاذ الشّرع ميزانا للأقوال والأفعال، الجمع بين الأصالة والمعاصرة.
- ✓ تميّزت الطّريقة التّجّانيّة بخصوصيّة سوسيوأنثروبولوجية؛ فهي وسيلة ترقية اجتماعيّة سريعة موجّهة للجميع دون استثناء وليست حكرا على النّخبة فقط من أهل العلم والدّين، وذلك لسعيها الحثيث في إصلاح الفرد والجماعة.
- ✓ اختلفت أيضا عن غيرها في تركيزها على البعد الجماعي للممارسة الدّينيّة وخاصّة في ذكر (ورد الوظيفة والهيللة) اللذان يؤدّيان جماعة، فالعبادة الجماعيّة وسيلة للوحدة واللحمة ورص الصفوف، ولنشر المحبّة والألفة والتّعاون بين الناس ، وذلك ما ينعكس إيجابا على المجتمع.

**آفاق البحث:**

- إنّ التّصوّف على العموم والطّريقة التّجّانيّة بالأخصّ تسعى إلى نشر القيم الإنسانيّة؛ التّسامح والمودّة والمحبّة والإحسان وقبول الآخر... وعلى عاتق جامعاتنا مسؤوليّة كبرى للعمل على استحضار تراثنا الصّوفي الغنيّ بهاته القيم السّامية لاستجلاء مضامينه وتوضيح أهدافه.
- إنّ التّصوّف السّنّي أو ثقافة تزكية النّفس والإحسان من وجهة نظرنا هي الثّقافة التي ينتظر منها الوقت الرّاهن الكثير، لأنّ الثّقافة التي تَقْبَلُ الآخر وتتواصلُ معه وإنْ اختلف معها في الدّين والعقيدة والرّأي، تستطيع مدّ جسور التّواصل بين الثّقافات. وزرع فصائل الحوار، وتوطيد آفاق الأخذ والعطاء لما يخدم الإنسانيّة. وهذا ما علينا أن نركّز عليه في دراساتنا؛ كيف نستثمر التّصوّف لخدمة الإنسانيّة جمعاء؟

الهوامش:

[i] ابن قنفذ القسنطيني، أنس الفقير وعز الحقير، تح: محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965، ص 63.

[ii] الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، 2001، ص21.

[iii] القشيري، الرسالة القشيرية، تح: خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 2005، ص 312.

[iv] المرجع نفسه, ص312.

[v] الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف, ص12.

[vi] عبد الحميد هيمة، الخطاب الصوفي وآليات التأويل "قراءة في الشعر المغاربي المعاصر"، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991، ص 63.

[vii] الخطيب البغدادي، كتاب الزهد والرقائق، ج1، ص56. المناوي، فيض القدير بشرح الجامع الصغير، ج4، ص 351.

[viii] الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف, ص12.

[ix] المرجع نفسه، ص12.

[x] سورة العنكبوت، الآية 69.

[xi] الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، ص 09

[xii] نقلا عن: عاصم إبراهيم الكيالي، اللطائف الإلهية، ص 20.

[xiii] علي حرازم بن العربي براده المغربي, جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني، تح: محمد الراضي كنون، دار الرشاد، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2011، ج2، ص 539، 540.

[xiv] ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، مج 10، ص 220.

[xv] سورة يوسف ، الآية 108 .

[xvi] آدم عبد الله الإلوري، الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني، منشورات مركز التعليم العربي الإسلامي بأغيغي، نيجيريا، ط2، 1979، ص41.

[xvii] آدم عبد الله الإلوري، آثار العلم والفلسفة والتّصوف في مسيرة الدعوة الإسلامية، د دار نشر، القاهرة، ط1، 1999، ص 68.

[xviii] محمد بن المشري، الجامع، نقلا عن: وصية محفوظة في مخطوط بالمكتبة الخاصّة لصاحبها السّيد جوّاد السّقلي عميد جامعة القرويّين (ت1972).

[xix] سورة النحل، الآية 125.

[xx] أحمد العياشي سكيرج، كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب، دار التجاني، الوادي، الجزائر، ط1، 2009، ص 241.

[xxi] سورة الأحزاب، الآية 21.

[xxii] البوصيري، البردة، الزّاوية التّجّانيّة، تماسين، الجزائر، طبعة جديدة، 1434 هـ، ص 12.

[xxiii] محمد النذير التجاني، الزاوية التجانية بقمار "ماضي- حاضر- مستقبل"، مخطوط، الوادي، 03 جوان 2014, ص 02 .

[xxiv] سورة العنكبوت، الآية 69.

[xxv] **الشّيخ أحمد التّجّاني**: إمام كبير وعالم جليل مشهود له بذلك؛ فكل الذين عاصروه وترجموا له بعد ذلك قديما وحديثا من العلماء نوّهوا به واعترفوا له بالعلم والصلاح والمكانة، منها كتب: سلوة الانفاس في أعيان فاس لمحمد بن جعفر الكتاني، جامع كرامات الأولياء ليوسف بن إسماعيل النّبهاني، حلية البشر في أعيان القرن الثالث عشر لعبد الرزاق البيطار، تاريخ الجزائر العام للشيخ عبد الرحمن الجيلالي وغيرها، وهم ليسوا على طريقته. (ينظر: عبد الرحمن طالب، الشيخ سيدي أحمد التجاني ومنهجياته في التفسير والفتوى والتربية، إنجاز الجاحظية، الجزائر، 1999، ص43).

[xxvi] الحاج علي حرازم, جواهر المعاني وبلوغ الأماني، ج1، ص 96.

[xxvii] المرجع نفسه, ص 96، 97.

[xxviii] ينظر: المرجع نفسه، ص 115، 126.

[xxix] المرجع نفسه, ص127.

[xxx] الحاج علي حرازم، جواهر المعاني، ص 126.

[xxxi] أنشئت أوّل زاوية تجّانيّة سنة 1789م بقمار بولاية الوادي بأمر من الشّيخ أحمد التّجّاني، ثمّ زاوية فاس سنة 1800، ثم زاوية تماسين سنة 1803، ثمّ زاوية عين ماضي 1816، ثمّ باقي الزّوايا في مختلف أنحاء العالم.

[xxxii] **مقدّمون أو مقاديم:** جمع مقدّم وهو الذي تقدّم على أصحابه في العلم والصّلاح والكفاءة، فكلفه الشيخ بتلقين الطّريقة التّجانية لمن يطلبها، فهو ممثّل الشّيخ ونائبه والمسؤول عن تسيير أمور الطّريقة في منطقته.

[xxxiii] علي زيتونة، دور الطريقة التجانية في الوسطية ونشر الإسلام وتحقيق الأمن، محاضرات الملتقى الدولي: الوسطية في الغرب الإسلامي وأثرها في نشر الإسلام في إفريقيا وأوروبا، ديسمبر 2017، جامعة حمه لخضر، الوادي، الجزائر، ص 740.

[xxxiv] ينظر: نورالدين الزاهي، الزاوية والحزب، الإسلام والسياسة في المجتمع المغربي، إفريقيا للنشر، ط3، 2011، ص 06.

[xxxv] الشيخ الدكتور محمد العيد التجاني التماسيني، الزاوية التجانية بين الأصالة والمعاصرة، محاورة: محسن التجاني ونجاح التجاني، فيديو مصور، تماسين، 2014.

[xxxvi] المرجع نفسه.

[xxxvii] الحاج علي حرازم، جواهر المعاني، ج1، ص126.

[xxxviii] **الورد المعلوم:** يشمل مائة مرّة من الاستغفار (أستغفر الله) باب التوبة إلى الله، ومائة من الصّلاة على النبي بأيّ صيغة كانت مع أفضلية صيغة (الفاتح لما أغلق) وشأن الصّلاة على النبي امتثال لأمر الله للمؤمنين بالصّلاة عليه وفتح باب محبّة الله ورسوله للمصلي على خير خلق الله كلّهم، ويتوّج المسار إلى حضرة العزيز الجبّار بذكر اسم الجلالة (لا إله إلاّ الله) مائة مرّة للبرمجة اللغويّة العصبيّة الرّوحيّة لتكريس التوحيد بالله عزّ وجلّ. وهذا الورد يذكره المريد بمفرده سرّا، وهو عبادة فردية في السلوك إلى الله

ويطلب من الذاكر الاجتهاد في الخشوع أثناء الذكر واستحضار معاني الذكر، لأنّ الحضور هو روح الأعمال. وهذا الورد تمّ ترتيبه من قبل سيّد الوجود صلى الله عليه وسلم في آخر القرن الثاني عشر الهجري من سنة 1196 هـ الموافق لـ 1781م، وبقي منفردا لمدّة عشر سنوات.

[xxxix] **ورد الوظيفة:** وتشمل ذكر ثلاثين مرّة (أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلاّ هو الحيّ القيّوم)، وذكر خمسين مرّة صلاة الفاتح لما أغلق؛ (اللهمّ صلّ على سيّدنا محمّد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحقّ بالحقّ والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حقّ قدره ومقداره العظيم)، وذكر مائة مرّة (لا إله إلاّ الله)، وذكر اثنتا عشرة مرة صلاة جوهرة الكمال؛ (اللهمّ صل وسلم على عين الرّحمة الرّبانية والياقوتة المتحققة الحائطة بمركز الفهوم والمعاني، ونور الأكوان المتكونة الآدميّ صاحب الحق الرباني، البرق الأسطع بمزون الأرباح المالئة لكلّ متعرض من البحور والأواني، ونورك اللّامع الذي ملأت به كونك الحائط بأمكنة المكاني، اللهمّ صلّ وسلّم على عين الحقّ التي تتجلّى منها عروش الحقائق، عين المعارف الأقوم صرطك التّام الأسقم، اللهمّ صلّ وسلم على طلعة الحقّ بالحقّ الكنز الأعظم، إفاضتك منك إليك إحاطة النّور المطلسم، صلى الله عليه وعلى آله صلاة تعرّفنا بها إيّاه). وقد أضيفت كورد ثاني للطريقة التجانية بعد مرور عشر سنوات من ظهورها، أي في بداية القرن الثالث عشر الهجري، وهي عبادة جماعية لازمة كلّما توفّرت شروط الاجتماع للمريدين.

[xl] **ورد الهيللة:** ويشمل ذكر اسم الجلالة (لا إله إلاّ الله) يوم الجمعة بين العصر وغروب الشمس جماعيا من غير عدد حتّى آذان صلاة المغرب. ولمن كانت له حاجة يجعل العدد بين الألف وألف وستّ مائة مرّة على حسب الطاقات، وقد أضيف مع ورد الوظيفة في بداية القرن الثالث عشر الهجري.

[xli] الحاج علي حرازم، جواهر المعاني، ص 126.

[xlii] **الشيخ إبراهيم الرياحي:** هو شيخ الإسلام أبو إسحاق إبراهيم بن عبد القادر الرّياحي، ولد سنة 1180هـ، 1766م، حفظ القرآن الكريم، ثمّ انتقل إلى تونس أين تلقّى العلم من أربابه، ثمّ تصدّر للتّدريس ثم تولى الإمامة الكبرى بجامع الزّيتونة ورئاسة الفتوى. انتسب إلى الطّريقة الشّاذليّة في البداية، ثمّ أخذ الطّريقة التّجّانيّة عن الشيخ الحاج علي حرازم سنة (1216هـ). التقى بالشّيخ أحمد التجّاني بفاس سنة 1218هـ. وبفضل نشاطه العلمي وفي الدّعوة إلى الطّريقة انتشرت التّجّانيّة في الأوساط العلميّة وأوساط الحكّام بتونس. (ينظر: عمر بن محمد بن إبراهيم الرياحي، تعطير النواحي بالتعريف بسيدي إبراهيم الرياحي، ص12،7).

[xliii] المرجع نفسه، ص 64.

[xliv] سورة الواقعة، الآيات 12، 13، 14، 15، 16.

[xlv] محمد جمال الدين القاسمي، تفسير القاسمي، راجعه محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، ط2، 1978، ج1، ص 20.

[xlvi] الحاج علي حرازم، جواهر المعاني، ج2، ص 759.

[xlvii] المرجع نفسه, ص 756.

[xlviii] سورة آل عمران، الآية 31.

[xlix] الحاج علي حرازم، جواهر المعاني، ج1، ص 300، 301.

[l] أحمد سكيرج، الإفادة على الإفادة، الزاوية التجانية، المغرب، دط، دت، ص 04.

[li] المرجع نفسه، ص 04.

[lii] Général Andre P j, contribution a l'étude des confréries religieuses musulmanes, Alger, édition la maison des livres, 1956, p 292.

[liii] الحاج علي حرازم، جواهر المعاني وبلوغ الأماني، ص 784.

[liv] محمد الحافظ تجاني، قصر السبيل في الطريقة التجانية، طبع الجاحظية، الجزائر، إنجاز جمعية المعارف الثقافية، الوادي، ص 14.

[lv] Simian Maecel, Les confréries islamique en algerie (tidjania - rahmania), Alger, a jourdan, 1910, p 71.

[lvi] محمد الحافظ تجاني، قصر السبيل في الطريقة التجانية، ص 14.

[lvii] رواه أحمد في مسنده، والطبراني في الكبير، والحاكم في المستدرك، والبيهقي في شعب الإيمان عن معاذ.

[lviii] الشيخ محمد العيد التجاني، الإنسان الكامل وعلاقته بالطّبيعة "سيدي الحاج علي التّماسيني τ نموذجا"، الملتقى الدّولي للقاءات والموسيقى الصّوفيّة، مرّاكش، المغرب، 2008.

[lix] سورة آل عمران، الآيتان 133، 134.

[lx] عبد المجيد الدالي، دور رجال الطريقة التجانية في عصر العولمة، محاضرات الملتقى الدولي الثاني للطريقة التجانية الموسوم بـ: "الخطاب الصوفي التجاني زمن العولمة"، 4، 5، 6 نوفمبر 2008، قمار ولاية الوادي، الجزائر، ص 14.

[lxi] الشيخ محمد العيد التجاني، مداخلة بمناسبة افتتاح الملتقى الدّولي الثّاني للطّريقة التّجّانيّة، الموسوم بـ "الخطاب الصّوفي التّجّاني زمن العولمة؛ علم، عمل، عبادة"، المنعقد بالوادي، الجزائر، أيّام 4،5،6 نوفمبر 2008.

[lxii] الشيخ الحاج علي التماسيني: هو أول خليفة للطّريقة التّجّانيّة بعد مؤسّسها الأوّل الشّيخ أحمد التّجّاني، ولد سنة 1766 بتماسين، حفظ القرآن الكريم وتغذّى بمبادئ الشريعة الإسلامية، وعُرف بالصّلاح والتّقوى وطاعة الله ومحبّة عباده الصّالحين منذ صغره. كان فلاّحا يكسب قوته بعرق جبينه، التقى بالشّيخ أحمد التّجّاني في عين ماضي وانخرط في طريقته سنة 1789، وبويع بالخلافة يوم الخميس 21 سبتمبر 1815، وتوفّي يوم الثلاثاء 12 مارس 1844. (ينظر علي بن خليفة، العرف الشذي في التعريف بالشيخ سيدي الحاج علي التماسيني، دار الجائزة، الجزائر، ط1، 2015، ص37 وما بعدها).

[lxiii] سورة البقرة، الآية 208.

[lxiv] سورة الحجرات، الآية 10.

[lxv] الحاج علي حرازم، جواهر المعاني، ص 641.